

في صدر هذا الكتاب . ولكن هذا في تحول اللغة وتولدها المتوغل في القدم . لا في التحول التدريجي الذي يفهم من إطلاق كلمة التعريب . والذي كان يحصل على السنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأصولها وقواعدها فانهم اذ ذاك ما كانوا يرجعون في وضع كلمات الاحداث والمعاني إلى الاستعانة بلغات غيرهم . وانما يرجعون إلى فضل ذكائهم وذلاقة لسانهم . وحسن طريقة الاشتقاق في لغتهم . فهم يضمنون أو يشتقون للمعاني التي تجول في نفوسهم من الكلمات ما يفنيهم عن التطفل في ذلك على سواهم . أما الجواهر والأعيان . فقد يتعذروا وتصبر عليهم أن يضعوا لها كلمات . بعد ان ضرب المستضعفون والتجار في طول جزيرتهم وعرضها . وهم ينادون باسم الخيار والاوريا والباذنجان والكوب والا بريق والمسك والبنفسج والسندس والإستبرق والفيروز والبلور واللجام والداق والدرهم والدينار والعربون إلى غير ذلك اسماء الادوات والفرش والماعون . وقد ضاق ذرع العرب بهذه الاسماء . وأعجزتهم كثرتها فاضطروا إلى أن يرحبوا بها ويلقبوا حبلها على غاربها اه المراد منه

ومن الكتاب خمسة قروش وهو يباع في المكاتب المشهورة

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْأَكْبَرِ

نصيحة

﴿ لسلمي بيروت عامة ، وفتيانهم الشجمان خاصة ﴾

اتي في كلامي عن البلاد السورية قد فضلكم على غيركم ، ووجوت منكم لخير البلاد . ألم أرجه من سواكم ، وانما كتبت ما اعتقدت ، بحسب ما رأيت واختبرت ، تنشيطاً للعاملين ، وتنبهاً للخالين ، ذلك بأني رأيت من احترام الحرية عندكم ما لم أر مثله في طرابلس ولا دمشق ولا غيرها من البلاد ورأيت

فيكم حركة الى العلم والتربية لم أر نظيرها على ضفتها في غير بلدكم فحمدت الله تعالى على ذلك وحمدتكم .

ثم اتيت في بلدكم سبعة أسابيع متصلة بعد تينكم الزيارتين المتعاقبتين فرأيت فيه أمرا استنكرته وحزنت لأجله حزنا شديدا ، فأحييت أن أنصح لكم فيه كتابة كما نصحت فيه لكثير منكم مشافهة وخطابة ، عسى أن تكون الكتابة أعم وأنفع ، ولا أقول ان هذا الامر المتقدم خاص بكم وإنما أرجو ان ترجعوا عنه بمجرد النصيحة وربما بقي عند غيركم الى ان تكون الحكومة الجديدة وتسفر وترجم عنده بالهوية القاهرة ان لم يرجعوا خوفا منها .

ذلك الامر المنكر هو ما ذكرته في آخر خطاب ألقته في نادي الجامعة الصمانية عندكم (ونشرت محصله في هذا الجزء) وأعني به ازعاج الحرية الشخصية في بعض الاوقات لا سيما حرية أصحاب الصحف . وقد حمدكم القلاء لاستنكاركم حادثة الشام وحملكم على المفسدين الذين أثاروا الفتنة فيها كراهة لحرية العلم والاستقلال في نفسه ونشره ولكن جرائد الشام الآن أوسع حرية من جرائدكم كما يعلم ذلك جميع القراء منكم فهل ترضون بهذا الانقلاب ؟

كاد يقع الخصام بل الاتهام في الصدام بين طائفتين منكم لان شيطانا من شياطين الانس وسوس الى بعضهم: إن جريدة كذا نشرت آية من القرآن الكريم ونشر القرآن في الصحف إهانة له فيجب أن يهان صاحبها حتى لا يعود إلى ذلك . ذكر ذلك في مجتمع فيه كثير من العامة والخاصة فاشتد في الإنكار بعض الشبان فابدى للدفاع عن صاحب الجريدة آخرون من ابناء حبه فساهل الأولون واتسعى الكلام باتداب رجلين لسؤال صاحب الجريدة عن حقيقة الامر ولما جاءه السؤال كنت عنده وكان هو قد خرج لحاجة فراجعنا جريدته أولا فلم نجد فيها شيئا من القرآن وأقننتها بأن الإهانة لا تكون لا بالقصد وان من يقصد إهانة القرآن بعمل عمله يصبر به مرتدا لا عاصيا فقط ولا يقع هذا من مسلم وإنما يكتب الآيات من يكتبها لاجل ان يكون في كلامه روح ربانية مؤثرة ينفع بها القارئ . وقلت لها ان جميع جرائد المسلمين

في مصر وفي بيروت وغيرها من البلاد تزين بعض كلامها بالآيات الكريمة وتناوات من جرائد كانت بجانب نسخة من المويد فأطلعتهما على عدة آيات فيها بعضها في خطبة لأحد الاساتذة بنظارة المعارف المصرية. وما زلت بهما حتى خرجا مقتنئين بأن من حرك هذه الفتنة لم يكن مخلصا في قوله وقبل أيدي بعدان كانا حديثهما حديث الخضم مع الخضم فدل ذلك على حسن نيتهما

ثم ان صاحب جريدة أخرى كتب في جريدته ان المسلمين مقصرون فيما يجب عليهم من العناية بالتربية والتعليم وما تقتضيه حال المصر من سعة الثروة وان جيرانهم وخطاؤهم من النصارى قد سبقوهم في هذا المضمار . فوسوس شيطان التفريق الى بعض الفتيان التحمسين قال ان صاحب جريدة كذا قد أهان المسلمين وفضل النصارى عليهم !! فاضطربوا وغضبوا وأخذ بعضهم نسخا من بائع تلك الجريدة فزقها وحاول طائفة منهم إهانة الكاتب بل إهانة بعضهم بالفعل ، وطاف آخرون على بعض المشتركين بالجريدة فرغبوا اليهم أن يقطعوا اشتراكهم فيها

وقد رأيت شابا يتأثر صاحب هذه الجريدة في بعض الشوارع فلما رأي استوقفته وتحدثت معه ثم تركته تبغني وسألني عما كتبه عن المسلمين فقالت له كتب كيت وكيت ليحث المسلمين على إنشاء المدارس والعناية بتربية أولادهم حتى يكونوا أرقى الأمم واعلمها وعلى تحصيل الثروة لكونوا من أغنى الناس واعزهم . وأقنمته بأنه لا يعقل أن يكون قصد إهانة أهل دينه الذين يهان بهوانهم ويعتز بعزتهم ويشرف بشرفهم من غير ان يكون له فائدة في ذلك ولا مجال للقول بأن له فائدة أو رجحا من الإهانة ثم ذكرت له شيئا من مفاسد هذا الثفاق الذي يلقيه بعض أهل الأهواء بين المسلمين وهو أضر عليهم لا سيما في هذا الوقت من كل ما يتصور أن يضرهم . فأنشئ مقتنعا شاكرا

هذا ما ركعت عليه بيروت يوم سافرت منها وقد دخلت القاهرة ليلة الخميس وفي اليوم الثاني من وصولي اليها صليت الجمعة في أحد المساجد فاذا بالخطيب فيه يصدع الناس بوعظ يقول فيه مامعناه : انكم قد تركتم الاسلام وأين الدليل على إسلامكم وأنتم تصلون كذا وكذا حتى قال وتشبهت نساؤكم بالمعاهرات . فقلت في نفسي لو كان

هذا الخطيب في بيروت لا نزله عن المنبر بالهوة ومنهوه من إتمام خطبه مع هذا كله أقول الآن كما قلت من قبل ان مسلبي بيروت أقرب الى الخير والامتداد لثرفي من غيرهم وأبعد عن الفتن التي تحول دون الأعمال النافعة وأكثر ما ينفقد عليهم مما ذكر يقع منهم بحسن النية غالباً لا أعرف فيهم غير رجل واحد يحب إقامة الفتن بسوء نية ولعله يندر ان يوجد له أقتال ونظراء في ذلك

فالذي نصح به لم ولنغيرهم هو ان يطهروا انه لا شيء أضرم على الأمم من التفرق والشقاق لأجل الخلاف في الفهم والرأي سواء كان في أمر الدين أو أمر الدنيا فضرراً كبير الكبار - كالتسل والزنا وشهادة الزور - هو دون ضرر التفرق والشقاق في الأمة لأن هذا الجرم هو المانع من وحدة الأمة وعزتها وقوتها وهي متى قويت تقدر على منع سائر الجرائم ومتى كانت ضعيفة بالتخاذل لا تقدر على منع شيء من الفساد ولا على إقامة شيء من المصالح . ولذلك توعد الله تعالى على التفرق والخلاف بما لم يتوعد على غيره بل جعل التفرقين في الدين برآء من النبي صلى الله عليه وسلم ومن دینه فقال (٦ : ١٥٩) إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وأنزل يوم تلاحى نفر من الأوس والخزرج وذكروا ما كان من مشقة بعضهم لبعض يوم بعاث (٣ : ١٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ١٠٤ ولئن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ١٠٥ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليئس وأولئك لهم عذاب عظيم)

فالتدبر للقرآن يرى انه تعالى ينهانا ويحظر علينا التفرق والخلاف ويحتم علينا أن تكون أخوة متحابين ويفرض علينا مع ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن أهان أخاه واحقره أو آذاه لأنه قال أو كتب ما يخالف رأيه لا يكون آمراً بالمعروف وهل يوجد أحد من الناس يقول ان الأهانة والايذاء من المعروف ؟ وإذا كان الله تعالى قد أمر نبيه بأن يجادل المشركين بالي هي أحسن فهل يرضي

منا ان نجادل إخواننا المؤمنين بالتي هي أسوأ وأقبح؟ أما ما قال الله عز وجل (١٦:٥١٦) أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) اما قال مع ذلك (٢١:٣٣) لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وكر الله كثيرا) ؛ ان الله تعالى ما ذكر فرضية الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع النهي عن التفرق والاختلاف الا لأن هذه الفريضة هي سياج وحدة الأمة وحفاظها فإقامتها تمنع التفرق كما قال الاستاذ الامام فاذا جعلنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببا للتفرق والخلاف والعداوة بين المسلمين نكون قد قلبنا مقصد الدين وقضنا ميثاقه وقطعنا ما أمر الله به ان يوصل واقسدنا في الأرض (٢٥:١٣) والذين يفتنون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)

للا أمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط وآداب فصلناها في التفسير المنشور في الجزئين الثامن والتاسع من مجلد المنار العاشر ولا يصلح لها على الاطلاق الا أهل العلم والعرفان . فأبي إفساد في الدين والدنيا شر من إغراء العامة بالفتيات على أهل العلم وحملة الاقلام والتصدي لأمرهم ونهيهم . بل وجد من شياطين الافساد والتفريق من اغرى العامة بمنع بعض خطباء المساجد من خطبة الجمعة !! حدثني بذلك بعض شبان بيروت فقلت له ان الخطبة فريضة دينية كالصلاة فهل يجوز لنا ان نمنع مسلما من اداء الصلاة لأننا غضبنا منه بحق أو ياطل؟ إذا جاز لنا هذا جاز لنا ان نمنع كل من اذنب ذنبا من اداء الصلاة والصيام والزكاة والحج وأن نشترط العصاة في كل طاعة من الطاعات . ولا يبيح لنا ديننا ان نقول بعصمة أحد بعد الانبياء وقد ختمهم الله تعالى بعثة نبينا صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم ولم يقل احد من المسلمين الذين يعتد أحد من بعده الاما قاله الامامية من الشيعة في الائمة الاثني عشر من آل بيت النبي باسلامهم بعصمة عليه وعليهم السلام

فلم مما يناه أن التصدي لإهانة الناس الذين يظن أو يعلم انهم اخطأوا هو من المفاسد المحرمة شرعا والقيحة عقلا وكل من يفري بها فهو شيطان رجيم يجب

(التاريخ ٢ م ١٢) ما يستطبعه قتيان بيروت من خدمة البلد ١٤٩

عصيانه والبعد عنه والاستعاذة بالله من شره . والاجتماع لأجل هذه الجريمة والتعاون عليها يزيد في قبحها وإثمها قال الله تعالى (٢ : ٥) وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)

بعد هذا كله أقول لقتيان بيروت الذين يعرفون بقبح «الأبضيات» انكم أيها الشجعان البواسل قد عطرتم الأرجاء بمحمدة عظيمة ظهرت منكم في أيام إعلان الدستور ولا تزالون تحافظون عليها حتى اثني عليكم العقلاء في غير بلادكم بما لم يشنوا به على سواكم إلا وهي محاسنة خطائكم وعشرائكم في وطنكم من المشاركين لكم فيما عدا الدين من شؤون الحياة . فهل يليق بكم بعد فضيلة مسالمة هؤلاء ان تتلوثوا برذيلة معاداة من يشارككم في كل شيء حتى في الدين فتكونوا كن نزل فيهم قوله تعالى (٥٩ : ١٤) بأسهم ينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ؟ حاشاكم ان ترضوا بذلك عالمين به وانما يغشكم الفاشون فلا تكونوا آله لهم في اهوائهم

لا أقول انه ينبغي ان تخدموا بلدكم بإتقان كل واحد منهم لعله فقط فانكم تستطيعون أكثر من ذلك . انكم تستطيعون ان تعاونوا دائما على منع العدوان حتى يصير نادرا وتعاونوا على إصلاح ذات الين عند ما يقع شقاق أو خصام بين اثنين أو جماعتين ولكنكم لا تهذرون على المهينة على العلماء والسياسيين والمراقبة على الخطباء والمحربين ونفع الأمة بإيقاف هؤلاء عند حدود لا يتعدونها . وانكم اذا تصديتم لذلك تضرون الأمة ضررا عظيما . ولا تستقلوا ما قلت انكم لا تستطيعونه فانه أمر عظيم مقدم على كل أمر لأنه يتعلق بالامن والراحة العمومية وهو أول شيء نطالب به الحكومة فاذا قمتم في بيروت بعمل لا تزال الحكومة مقصرة فيه في كثير من البلاد فانكم تستحقون من الناس الثناء الجليل ومن الله الثواب الجزيل